

شرح أسماء الله الحسنى 29 – السميع



أولا / المعنى اللغوي:

السميع في اللغة على وزن فاعيل من أبنية المبالغة، والسمع في حق المخلوقين هو: ما وقر في الأذن من شيء تسمعه.

ثانيا / المعنى في حق الله تعالى

هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ووسع سمعه الأصوات على اختلاف اللغات وتفنن الحاجات ؛ فلا تختلف عليه أصوات المخلوقات، ولا يشغله سمع عن سمع ؛ يسمع دبيب النملة السمرء على الصخرة الصماء



في الليلة الظلماء .

والقريب منه والبعيد والسر والعلانية سواء قال تعالى : (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) سورة الرعد

وقوله {ومن هو مستخف بالليل} أي مختف في قعر بيته في ظلام الليل.
{وسارب بالنهار} أي ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه, فإن كليهما في علم الله على السواء.

وهو سبحانه تنزه عن الجارحة فهو يسمع بغير أذن كما يتكلم بغير لسان .

ثالثا / وروده في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

ورد اسمه تعالى السميع في القرآن خمسا وأربعين مرة؛ منها قوله تعالى { . رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة: 127]

وقوله سبحانه وتعالى : { قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [المائدة: 76]

وجمع بين اسمه تعالى السميع والبصير في أكثر من موضع، منها قوله تعالى { مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْظُمُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٌ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [لقمان: 28]

وجمع بينه وبين اسمه تعالى القريب، في قوله { .. إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } [سبا: 50]



وقد جاء اسمه السميع مقترناً بغيره من الأسماء، فجاء سميع عليم، وسميع بصير، وسميع قريب، فهو سبحانه وتعالى السميع الذي يجيب الدعوة عند الاضطرار، ويكشف المحنة عند الافتقار، ويغفر المذلة عند الاستغفار، ويرحم الضعف عند الذل والانكسار.

ومما ورد في السنة :

عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله "ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء" [رواه أبو داود وصححه الألباني]

رابعا / تأملات في رحاب الاسم الجليل:

سمُّه تعالى نوعان:

الأوّل: سمُّه لجميع الأصوات الظَّاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التَّامّة بها.

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: (أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، ولكن تدعون سميعا بصيرا قريبا)



وقوله: (أربعوا على أنفسكم) أي: ارفقوا بأنفسكم فلا تكلفوها برفع أصواتكم ، فإنه لا حاجة إلى

ذلك، فإن من تكبرونه سميع بصير يسمع الأصوات الخفية كما يسمع الجهرية.

وفي الصحيحين أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه _ قال :

{ اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ

قَلِيلٌ فَقَهُ قُلُوبِهِمْ ، كَثِيرٌ شَحْمٌ بَطُونِهِمْ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ ؟ فَقَالَ الْآخَرُ : يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا ، وَلَا يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا ،

وَقَالَ الْآخَرُ : إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ)

الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والدَّاعين والعابدين، فيُجيبُهم ويُثيبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: 39]؛ أي: مجيب الدُّعاء، ومنه قول المصلي: “سمع الله لمن حمده”؛ أي: أجاب الله حمد من حمده، ودعاء من دعاه، كما قال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (إذا قال الإمام: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فقولوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ) صحيح مسلم، وفي رواية: (يَسْمَعُ اللهُ لَكُمْ) صحيح مسلم؛ أي: يُجِبْكُمْ.



فالسَّماع هنا بِمعنى الإجابة والقبول، وفي الحديث الَّذي رواه التِّرْمِذِي فِي سُنَنِهِ:
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ)

جل سمع الله :

تقول عائشة : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) إلى آخر الآية . رواه البخاري تعليقا .

وجاء في السير أن عمر سار يوماً ومعه أبو عبيدة ، فلقيته امرأة في الطريق، فقالت: إيه يا عمر ! لقد كنت تدعى عميراً تصارع الفتيان في أسواق عكاظ، ثم أصبحت تدعى عمراً ، ثم ما لبثت حتى أصبحت أميراً للمؤمنين، فاتق الله يا عمر ! واعلم أن الله سائلك عن الرعية كيف رعايتها؟ فبكى عمر بكاءً شديداً، فلام أبو عبيدة المرأة لقسوتها على عمر ، فقال له عمر : (دعها يا أبا عبيدة ! فهذه التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فحري بعمر أن يسمع كلامها).

فسبحان الذي يسمع دعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم وعند اجتماعهم! ولا تختلف عليه اللهجات ولا اللغات، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، وقد يعجز القائل عن التعبير عن مراده، والله يعلم ذلك فيعطيه الذي في قلبه ، بل لو قام الجن والإنس كلهم من أولهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في صعيد

واحد ، وسألوا الله جميعا في لحظة واحدة، وكل عرض حاجته ، وكل تحدث بلهجته ولغته لسمعهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت أو لغة بلغة أو حاجة بحاجة، ومن الدلائل على هذا قوله سبحانه في الحديث القدسي: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، وأعطيت كل واحد مسأله، ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المحيط إذا غمس في البحر)

فائدة عظيمة لابن القيم في فضل إخفاء الدعاء :

قال ابن قيم الجوزية في كتابه بدائع الفوائد 3 / 279 (باختصار)

لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} وأن الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي بفعله فقال: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا}.

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيمانا لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمع دعاءه الخفي وليس كالذي قال أن الله يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا.

ثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات وإنما تخفض عندهم الأصوات ويخف عندهم الكلام بمقدار ما يسمعون ومن رفع صوته لديهم مقتوه ولله المثل الأعلى فإذا كان يسمع الدعاء



الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه وخشع صوته حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته وكسره وضراعه إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوله بالنطق فقلبه سائل طالب مبتهل ولسانه لشدة ذله وضراعه ومسكنته ساكت وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعه القلب على الله تعالى في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض صوته كان أبلغ في صمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

سادسها: أنه دال على قرب صاحبه من الله وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه فيسأله مسألة مناجاة للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه وإنه أقرب إليه من كل قريب وتصور ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه ولم يتأت له رفع الصوت به بل يراه غير مستحسن كما أن من خاطب جليسا له يسمع خفي كلامه فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه، ولله المثل الأعلى سبحانه وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى

بعينه بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال: “أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته” وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}. وقد جاء أن سبب نزولها أن الصحابة قالوا: يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء لا للنداء الذي هو رفع الصوت فإنهم عن هذا سألوا فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريب لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلى النداء وإنما يسأل مسألة القريب المناجي لا مسألة البعيد المنادي .

سابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يكل لسانه وتضعف بعض قواه وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعا صوته فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته.

ثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل هناك تشويش ولا غيره .

تاسعها: إن أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له والانقطاع إليه والتبتل إليه ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت ولا نعمة أعظم من هذه النعمة فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته



عن الحاسد وأن لا يقصد إظهارها له، ولهذا يوصى العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله وأن لا يطلعوا عليه أحدا ويتكتمون به غاية التكم.

خامسا / ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

أولاً: إثبات صفة السَّمْع له – سبحانه – كما وصف الله نفسه بذلك؛ قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: 10]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] وغيرها من الآيات الكريمة .

ثانياً: أن سمع الله ليس كسمع أحدٍ من خلقه، فإنَّ الخلق وإن وُصفوا بالسمع والبصر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]، إلا أن سمعهم وبصرهم ليس كخالقهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

ثالثاً / مراقبة الله : فإذا علم العبد أن ربه يسمع كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فيسمع حركاته وسكناته، حمّله ذلك الاعتقاد على المراقبة لله – سبحانه – في جميع الأحوال، وفي جميع الأمكنة والأزمنة، فيمسك عن كل قول لا يرضي ربه، ويحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بخير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7].

فالله سبحانه وتعالى يسمع دبيب قلبك .. فالحذر الحذر أن يجد قلبك مُعرّضاً



عنه سبحانه، مُقبلاً على ما لا يرضى!

فالمؤمن الموحِد يراقب ربّه في سره وعلايته؛ لعلمه أن ربّه يسمعه من فوق عرشه وأنه عليمٌ بسره ونجواه .. والآية التي ترتعد منها الفرائص، قوله تعالى {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: 80]

فالصادق في توحيده لربّه السميع، لن يسمع إلا ما يحب ربّه ويرضاه.

رابعاً: دوام الدعاء لله تبارك وتعالى، واستشعار حلاوة المناجاة ؛ فهو سبحانه وتعالى سميع الدعاء، فلذ برّبك والجا إليه بكثرة الدعاء .. وخذ بأسباب الإجابة حتى يكون دعاءك أخرى للقبول إن شاء الله تعالى ، وادع ربّك وأنت موقن بالإجابة، بقلب يقظ غير غافل، متحريراً ساعات إجابة الدعاء ؛ فالله هو السميع الذي يسمع المناجاة، ويُجيب الدعاء ، ويقبل الطّاعة، وقد دعا الأنبياء والصّالحون بهذا الاسم؛ ليقبل منهم طاعتهم، ويستجيب لدعائهم، فإبراهيم وإسماعيل قالوا: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 127]، ودعا زكريا أن يرزقه الله ذريةً صالحة: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: 38]، فاستجاب الله دعاءه، ودعا يوسف – عليه السّلام – أن يصرف عنه كيد السّوء؛ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: 34].

خامساً / أكثر من الشكوى لربّك السميع سبحانه ؛ كما كان نبي الله يعقوب يقول {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ..} [يوسف: 86] ..



وكما كان حال إبراهيم عليه السلام {..إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة:114] ..
أي: كثير التآوه، كهيئة المريض المتآوه من مرضه .. فكان كثير الشكاية
والدعاء لربه، حَلِيمٌ بين الناس أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم
إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه فاشكُ
حالك إلى ربِّك السميع البصير، الذي يسمع كلامك ويرى مكانك ويعلم
سرك ونجواك.